

## الصراع على مصر عشرون سببا على الاقل للتححرر من كامب ديفيد

بقلم: مهندس / محمد سيف الدولة

انعددت فى آخر شهر نوفمبر الماضى ٢٠٠٦ وعلى مدار يومين ندوة بعنوان " مصر تستطيع ان تقول لا " بغرض التشاور حول كيفية التححرر من اتفاقية كامب ديفيد ومن العلاقات الخاصة مع امريكا وقدمت فى الندوة عدد من الدراسات الهامة من قبل عدد من الشخصيات المتخصصة . طرحت فيها افكارا جديدة وواقعية وناضجة حول الموضوع ، جارى حاليا اعدادها من اجل نشرها والحوار حولها على نطاق وطنى واسع .

ولقد هوجمت الندوة من قبل عدد من الجهات والشخصيات الرسمية وشبه الرسمية التى اعتبرت انها تمثل تحريضا على توريط مصر فى حرب جديدة . وانه لا مبرر لاعادة طرح هذا الموضوع الان فالاتفاقية قد انتهت ولم يعد لها اى اثار حالية وذلك بعد ان استطاعت مصر بموجبها ان تحقق ما لم تستطع الاطراف العربية الاخرى من الحصول عليه حتى الآن . وانه علينا ان نهتم بالشان المصرى وبالمصلحة المصرية وكفانا تلك الشعارات القومية و الاسلامية التى دفعنا اثمانا باهظة عندما رفعناها وتحركنا بوجوبها ...الى آخر القائمة الشهيرة المكررة من الحجج التى يطرحونها كلما اثير تساؤل عن " اين دور مصر ؟ " بعد كل خطر او عدوان خارجى تتعرض له الامة العربية او احد اقطارها . انهم يفعلون ذلك منذ اتفاقية فض الاشتباك الاول فى يناير ١٩٧٤ وحتى الان وسيفعلونه دائما . لن يكون اولهم توفيق الحكيم عندما طالب فى منتصف السبعينات بحياد مصر بين العرب واسرائيل ولن يكون آخرهم عبد المنعم سعيد فى عامود الاسبوعى فى الاهرام .

المهم اننا نعيش منذ ثلاثة عقود صراعا فعليا على مصر ، على دورها العربى والاقليمى والدولى ، على دورها فى مواجهات المشروعات الامريكية والصهيونية . ومما لا شك فيه ان حال مصر و الامة سويا فى السنوات القليلة السابقة قد اعطى مصداقية كبيرة للتيار العربى والاسلامى داخل مصر فى مواجهة التيار الآخر . و هو ما يؤكد الاهمية الخاصة لاعادة تقييم خيارات مصر الرسمية خلال الثلاثين عاما السابقة و على راسها اتفاقيات كامب ديفيد والعلاقات الخاصة مع امريكا .

حسنا . لماذا نريد ان نتحرر من كامب ديفيد ؟

للجابة على هذا السؤال اقدم فيما يلى اهم اسبابنا الموضوعية ، اصيغها صياغة مختصرة ، فى نقاط محددة ، اتصور ان كل منها يمكن ان يمثل رأس موضوع على مائدة الحوار الوطنى المستهدف :

- لان التدابير الامنية الواردة فى الملحق الاول من الاتفاقية تقيد قدرة مصر العسكرية فى الدفاع عن سيناء فى حالة تعرضها لاي عدوان اسرائيلى جديد . وهو ما يمثل وسيلة ضغط رادعة ومستمرة ( وان كانت غير منظورة للراى العام الشعبى ) على اى حكومة مصرية .
- لان القوات الموجودة فى سيناء لمراقبة التزام مصر بالتدابير المذكورة هى قوات متعددة الجنسية تحت قيادة امريكية وليست قوات للامم المتحدة
- لان الفقرة الخامسة من المادة السادسة من الاتفاقية تعطى للاتفاقية الاولوية على اى اتفاقيات اخرى بما فيها اتفاقية الدفاع العربى المشترك وهو ما يجرى مصر من القدرة على دعم الاقطار العربية التى تتعرض للعدوان الاسرائيلى
- لان الفقرة الرابعة من المادة السادسة من الاتفاقية تحرم على مصر الدخول فى اتفاقيات اخرى تتناقض مع هذه الاتفاقية . وهو ما يحد من حرية مصر مستقبلا فى صياغة علاقات عربية او اقليمية او دولية جديدة قد ترتأىها تحقيقا لمصالحها
- لان الفقرة الثانية من المادة الثالثة تلزم مصر بتقديم كل من ينتقد اسرائيل الى المحاكمة
- لانه يوم ٢٥ مارس ١٩٧٩ قبل يوم واحد من توقيع الاتفاقية المصرية الاسرائيلية ، قامت الولايات المتحدة بعقد تحالف مع اسرائيل ضد مصر بموجب وثيقة اطلق عليها " مذكرة التفاهم الامريكية الاسرائيلية " . ومنذئذ والخطاب الرسمى السائد يبرر علاقته الخاصة بامريكا بانها الخيار الوحيد الممكن سياسيا فى ظل تهديد امريكى علنى او ضمنى بردع مصر ان هى تراجعت عن اتفاق او نهج كامب ديفيد .
- لان الاتفاقية غير دستورية فهى تخالف الدستور فى عدة مواد اهمها المادة الاولى من الدستور التى تنص فى فقرتها الثانية على ان " الشعب المصرى جزء من الأمة العربية يعمل على تحقيق وحدتها الشاملة " وهو ما يتناقض مع ما تضمنته الاتفاقية من الاعتراف بدولة اسرائيل ومن ثم بمشروعية الاغتصاب الصهيونى لفلسطين . والاتفاقية غير دستورية ايضا حيث تم الاستفتاء عليها بقرار باطل هو القرار رقم ١٥٧ لسنة ١٩٧٩

الذى دعى الناخبين الى الاستفتاء على ١٥ موضوع مختلف فى استفتاء واحد وهو ما لايجوز. ناهيك عن ما يتم فى استفتاءاتنا من تجاوزات اجرائية .

• ولان الاتفاقية باطلا طبقا لقواعد القانون الدولى لعدة اسباب اهمها مخالفتها للمادة رقم ٥٢ من اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات التى تنص على ان " تعتبر المعاهدة باطلة بطلانا مطلقا اذا تم ابرامها نتيجة تهديد باستعمال القوة او استخدامها بالمخالفة لمبادئ القانون الدولى الواردة فى ميثاق الامم المتحدة " .. وهو ما ينطبق على حالتنا حيث كانت الاراضى المصرية واقعة تحت الاحتلال الاسرائيلى اثناء المفاوضات . هذا بالاضافة الى تدخل امريكا الى جانب اسرائيل فى حرب ١٩٧٣ مما دفع الرئيس السادات الى طلب وقف اطلاق النار وتوقيع اتفاقية فض الاشتباك الاول عام ١٩٧٤ تحت ضغط وتهديد هنرى كيسنجر. (كما صرح السادات نفسه فيما بعد) وما ترتب عليها من سحب واعادة اكثر من ٩٠ ٪ من قواتنا الى غرب القناة بعد ان نجحت خلال الايام الاولى من حرب اكتوبر فى العبور الى سيناء فى شرق القناة. ثم ما ترتب عليها لاحقا من اتفاقية فض الاشتباك الثانى ١٩٧٥ ، ثم كامب ديفيد ١٩٧٨ ، واخيرا اتفاقية السلام ١٩٧٩ . وهو ما تم جميعه تحت تهديد امريكى علنى او مستتر بالتدخل لصالح اسرائيل ، ومثل ضغطا على المفاوضات المصرى حينذاك جعله يقدم التنازلات المشار اليها عليه .

• ولان من آثار الاتفاقية على المستوى الداخلى تفكيك الاقتصاد المخطط ، تحت قيادة القطاع العام ، لتجريده من القدرة على دعم المجهود الحربى . وخلق اقتصاد سوق تابع لأمريكا تحت توجيه و اشراف ورقابة الفيلق الاقتصادى الدولى "الصندوق " و البنك "وهو ما ادى فعليا الى تراجع حركة التنمية الوطنية فى مصر وانسحاب الدولة من التصدى لسد الاحتياجات الاساسية للمواطن مما انعكس على حياة الناس اليومية

• ولان من آثارها على المستوى السياسى اعطاء شرعية العمل السياسى فقط للقوى التى ترضى التعايش مع المشروع الصهيونى وعلى راسها الحزب الوطنى وحرمان كل القوى المعادية لهذا المشروع من التمثيل الشرعى او حصارها داخل مؤسسات شرعية شكلية تحول بينها وبين التواصل مع الجماهير على مشروعها الوطنى البديل

• ولان من آثارها كذلك خلق وصناعة قوى اجتماعية اقتصادية ( طبقة ) حليفة لامريكا تتبنى الدفاع عن عصر كامب ديفيد بحكم المصالح والبنزس

المشترك تسلمت قيادة المجتمع واحتكرت ثرواته والتشريع له وتحالفت مع السلطة التنفيذية .

• ولان من آثارها ايضا صناعة خطاب ثقافى تضليلى يتبنى الاتفاقية ويروج لها و يدافع عن العلاقات مع امريكا ويهاجم انتماء مصر العربى والاسلامى . يديره نخبة من المثقفين تحتكر المؤسسات البحثية الحكومية والصحف القومية واجهزة الاعلام الرسمية مع استبعاد معظم العناصر الوطنية منها .

• وايضا لان الاتفاقية ادخلت امريكا بمعونتها وخبرائها واجندتها الى اعماق المجتمع المصرى تراقبه و ترصده وتحلله وتوجهه وتستقطب منه الكوادر وتفرخ فيه مؤسسات خادمة لتفعيل مشروعها فى مصر وكل ذلك تحت سمع وبصر الجميع فى اطار الشرعية السائدة الان ( شرعية عالم كامب ديفيد )

• ولان الاتفاقية بما تضمنته من اعتراف مصر باسرائيل اعطت مشروعية للاغتصاب الصهيونى لفلسطين من قبل اكبر دولة عربية فى سابقة هى الاولى من نوعها فى الوطن العربى . ادى فيما بعد الى تخفيض كبير فى سقف المطالب الفلسطينية والعربية فقد توالى بعدها الاعترافات والمبادرات والتنازلات عن الحق العربى التاريخى فى الارض المحتلة لتنتهى الى قبول اجزاء من الارض منزوعة السيادة فى اوسلو ثم خريطة الطريق والتي رغم تواضعها لا تجد من ينفذها حتى الان ولن تجد .

• ولان الاتفاقية اخرجت مصر بثقلها التاريخى من الصراع ضد المشروع الصهيونى مما ادى الى خلل كبير فى ميزان القوى ، واسفر فى النهاية الى تصفية قوى المقاومة الفلسطينية فى الخارج وحصارها فى الداخل ، كما ادى الى عجز قوى المقاومة العربية . وعريضة اسرائيل اللانهاية فى المنطقة واعادة ترتيبها كما تشاء وكسب نقاط قوة كثيرة ستعكس على الجميع بما فيهم مصر فى المستقبل المنظور.

• وايضا لان الاتفاقية اخرجت مصر بثقلها التاريخى من الصراع ضد المشروع الامريكى فى المنطقة مما ساعد مع عوامل اخرى على احتلال العراق والسعى الى تقسيمها والى العمل على تقسيم السودان والى حصار سوريا ولبنان واصبحت للولايات المتحدة اليد العليا فى كل ما يحدث فى امتنا العربية فى اتجاه مشروع تفتيت جديد للمنطقة سينال مصر عاجلا ام آجلا .

• ولان اعتراف مصر باسرائيل ادى الى رفع المقاطعة الدولية عنها التي كان ينتهجها عدد كبير من الدول الصديقة لمصر وللعرب وهو ما ادى الى تحرر اسرائيل من حصار دولي خائق ، مما اسفر عنه بث دماء جديدة في الاقتصاد الاسرائيلي واطالة عمر المشروع الصهيوني ودعم الدولة المغتصبة مما يصعب من مهمات مواجهتها في المستقبل المنظور او حتى البعيد

• ولان الاتفاقية ساعدت على انقسام الواقع العربي عندما ضربت قضية العرب المركزية ( قضية فلسطين) في مقتل ، تلك القضية التي كانت تجمع وتوحد الدول العربية على اختلاف نظمها وتوجهاتها ، و تلك الوحدة التي تجلت في مؤتمر الخرطوم ١٩٦٧ ثم في حرب اكتوبر ١٩٧٣ . والتي اختفت بعد كامب ديفيد فساد الصراع والانقسام العربي منذ ذلك الحين .

• ولان الاتفاقية اعطت ضوء اخضر لكل القوى الطائفية في الوطن العربي ، ان كرروا نموذج اسرائيل واصنعوا دويلاتكم الطائفية على النموذج الصهيوني فلقد نجحت اسرائيل في انتزاع اعتراف محيطها العربي بشرعيتها . ومن اعترف بها سيعترف بكم ولو بعد حين . ومنذ ذلك الوقت بدأ الخطاب الطائفي يتنامى في المنطقة وراينا الحروب الاهلية في لبنان وفي السودان و في العراق والبقية تاتي .

• ولان الاتفاقية تناقض مجموعة المبادئ والثوابت الوطنية المستقرة لدى الجماهير في مصر على امتداد عدة اجيال فلقد ادت الى انهيار في روح الانتماء الوطني لدى عامة الناس ، وادت الى غياب اليقين في اي خطاب او مشروع او شعار سياسي . ففقدت كل الامور العامة مصداقيتها . وكرد فعل لذلك اتجه الوعي الشعبى الى الحلول الفردية او الى اليقين الدينى الذى اصبح الملاذ الاخير للدفاع عن الهوية والانتماء

• واخيرا وليس آخرا ادت كامب ديفيد وما بعدها الى شق الصف الوطني داخل مصر . وضربت الوحدة الوطنية بمعناها العام فى الصميم فقد رات القوى الوطنية فيما حدث ويحدث انتهاك شديد للشرعية الوطنية ، التي لم تعد ممثلة فى الشرعية القانونية ( السلطة ) . وكرد فعل على ذلك اصبح لكل طرف مرجعيته الشرعية المختلفة مما ترتب عليه آثارا خطيرة على مدى

الثلاثون عاما السابقة وهو ما يزال يهدد المجتمع بمزيد من الانقسام والتفتت فيما لو لم ننجح فى تدارك اصل المشكلة والتصدى لها .

لكل ما سبق فاننا نوجه دعوة صادقة الى كل الاطراف الوطنية فى مصر الى حوار موضوعى واسع حول كيفية التحرر من كامب ديفيد ومن العلاقات الخاصة مع الولايات المتحدة الامريكية .

\* \* \*